الوقفة الرابعة مع عبد الله الأحمد

أعلى ما عند المصَعْفِقة من الحجج هو ما يزيدنا يقينًا بإفلاسهم وبغيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد بلغني ما نقل عن العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله ورعاه– أنه قال: «أنا كنت أحب محمد بن هادي لكنه الآن تغير»[1]، وكنتُ متوقفًا في قبول الخبر وتصديقه؛ لكون الناقل مجهولًا، حتى وصلتني رسالة هزيلة سطرها عبد الله الأحمد بعنوان: (أعلى ما عند الصعافقة من الحجج هو ما يزيدنا قوة وثباتا على الحق)، فاطمأنت نفسي إلى صحة هذا الكلام المنقول عن العلامة ربيع؛ لا لوثوقي بالأحمد فإني قد أثبت كذبه في وقفتي السابقة معه، ولكن لأن الأحمد في رسالته المذكورة أوّل جرح الشيخ ربيع المذكور –أي حرّفه لفظًا ومعنًى–، والتأويل فرع التصحيح، ولو كانت غير ثابتة لسارع الأحمد إلى رمي الصعافقة بالكذب والافتراء – إذ عند المصعفِقين يُنْسَب كل قول يقوله أحد ممن رموه بالصعفقة إلى الجميع –، فلو كان الناقل تقوَّل على الشيخ ربيع لكذَّبه الأحمد إما صريحًا كما فعل ذاك الفتان الخفيف، وإما بنقل نفي صحتها عن أحد أبناء الشيخ ربيع كما فعل غيره، فلما قام الأحمد بتحريف العبارة المنقولة وحاول إبطالها بحملها على خلاف الواقع عُلِم ثبوتها وصحتها، فقد قال الأحمد: «أعلى ما عند الصعافقة إخراج كلام شيخنا الشيخ ربيع بن هادي حفظه الله في

---

(١) نقل هذا القول عنه في رسالة نشرت عبر الواتس آب أولًا ونسب إلى جلسة التونسيين مع الشيخ، ثم نشر بيان مفصل لما جرى في هذه الجلسة ومن حضرها كتبه أحد الإخوة الذين حضروا الجلسة، كما صرح بذلك محمد التريكي في رسالة نشرها عبر الواتس آب، وهو أيضًا ممن حضر الجلسة.

شيخنا الشيخ محمد بن هادي حفظه الله وأنه غير راض عنه بسبب تحذيره من إخوانه السلفيين (الصعافقة)، وهذا من السعي بالتحريش بين الشيخين».

والعجيب أن الأحمد تكلم عن حجج من ينبزهم بلقب الصعافقة كأنما هم المطالبون بإقامة الأدلة، وهذا غلط؛ فالمطالب بذلك إنما هو الجارح، لأن القاعدة عند أهل السنة والجماعة: أن من اشتهر بالسلفية لا يقبل جرح الجارح فيه إلا إذا بين أسباب جرحه وأقام عليه الحجة الواضحة التي لا تحتمل غير الجرح، كما قال العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله–: «عند تعارض الجرح والتعديل **لا بد من بيان أسباب الجرح، فإذا بين العالم الناقد المعتبر حجته أو حججه المعتبرة فحينئذ يُقدَّم الجرح على التعديل** ولو خالفه عشرات المعدلين، ولو تمادى أحد في تعديله بعد قيام الحجة سقط»[1]. وقرر العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله– أن **اشتهار الشخص بالدين والسنة والسلفية والدعوة لها أقوى من التعديل الصادر من عالِمٍ أو عالمين.**[2] ولا يخالف أحد في أن من ينبزهم الأحمد بلقب الصعافقة اشتهروا بالسلفية، فالمصعفَقون على الأصل والمصعفِقون ناقلون عنه، ولذلك فهم المطالبون بإقامة الحجج، لكن الأحمد لكونه صعفوقًا قام بقلب هذا الأمر، وشهد مرة أخرى على نفسه بالجهل المركَّب بعد بيان الحق له بياناً شافياً، فهو مُعْرِض عنه ومتمادٍ بالباطل متبع لهواه –والعياذ بالله–.

ومن تأمل ما يحتج به الطائفة المصعفِقة يجد أن أعلى ما عندهم من الحجج: الأقيسة؛

– فتارة يقيسون جرح الشيخ محمد بن هادي للسلفيين الذين ينبزهم بلقب الصعافقة على جرحه لسلطان العيد، ويقررون أنه يجب قبول الأول كما قُبِل منه الثاني؛ لأنه لا يجرح إلا بالدليل، ويحكون في ذلك توقف العلامة أحمد بن يحيى النجمي –رحمه الله– في سلطان العيد لكون الجارح هو الشيخ محمد بن هادي المدخلي[3]، وقال الشيخ النجمي –رحمه الله– للمتصل: «أنتم اسكتوا حتى يتأكد

---

(١) المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح، ضمن مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (٩/٣٢٥).

(٢) المصدر السابق (٩/١٤٨). وينظر الوقفة الثانية مع عبد الله الأحمد للمزيد من النقول في تقرير هذه القاعدة.

(٣) مقطع صوتي نشر في اليوتيوب بعنوان: «اسمع لما جرح الشيخ محمد بن هادي سلطان العيد وعدله الشيخ عبيد الجابري ماذا قال الشيخ أحمد النجمي».

الأمر»، وقال له: «انتظروا حتى تتصلوا بالشيخ محمد بن هادي»، وهذا إنما يدل على أن قول الشيخ محمد كان معتبرًا عنده لا أنه مقبول بدون دليل، ويكون كلامه مثل ما قرره العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله– في قوله: «نصيحتي لكم: إذا تَكُلِّم في شخص أن تَدْرُسوا عنه، وتأخذوا أقوال الناقدين وتفهموها، وتتأكدون من ثبوتها، فإذا تبين لكم ذلك فليحكم الإنسان من منطلق الوعي والقناعة لا تقليدًا لهذا أو ذاك، ولا تعصبًّا لهذا أو ذاك، ودعوا الأسخاص فلان وفلان، هذه خذوها قاعدة»[1].

– وتارة يقيس المصعفِقون جرح الشيخ محمد بن هادي لمن ينبزهم بلقب الصعافقة على جرح علماء المدينة لدعاة الفتن أيام حرب الخليج الثانية[2]، ولسان حالهم يقول: إنه يجب قبول الأول كما قُبل الثاني فإنه لا يمكن أن يجرح إلا بالدليل، حتى وإن كان من العلماء الكبار من يعارضه في ذلك فسيتبين لهم أن الحق معه.

– وقاس الأحمد القول بأن الخلاف بين الشيخ محمد بن هادي ومن يعارضه في جرحه لمن يسميهم بالصعافقة شخصي على قول من توهم أن الخلاف بين العلامة ربيع المدخلي وفالح الحربي كان كذلك[3]، فكما أن الثاني كان باطلًا فالأول عنده كذلك، وزعم أن كلا الخلافين صراع بين الحق والباطل.

---

(١) من محاضرة بعنوان: «خطورة الكذب وآثاره السيئة وموقف الإسلام منه».

(٢) كما فعل صاحب حساب (درر د. محمد بن هادي المدخلي) على تويتر، حيث كتب تغريدة قال فيها: «ما أشبه الليلة بالبارحة، مقطع للشيخ د. محمد بن هادي المدخلي قبل حوالي ١٥ سنة»، وقال الشيخ محمد بن هادي في هذا المقطع: «إنه في فترات قريبة مضت ليست ببعيدة –أظن أن أكثرنا عاشها– وهي أيام فتنة حرب الخليج الثانية، قام ثلة ممن يطلقون على أنفسهم ويسمونها بالدعاة! وحصل منهم ما حصل، وانتقدهم علماء المدينة وأشياخ المدينة وتكلموا فيهم، ولم يزالوا يلبّسون على الناس، وسماحة الشيخ عبد العزيز رحمه الله، والشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، والشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، حصلت منهم لهم تزكيات في حينه، فطاروا بها كل مطار، فلم يكن ذلك سببًا... (كلمة غير مفهومة) في أن ندع ما وقفنا عليه من الحق **وقامت لنا عليه الدلائل، وانتصبت لنا عليه الأدلة** لم يجز لنا أن ندع ذلك تقليدًا لفلان وفلان».

(٣) كما في رسالة له نشرها عبر الواتس آب بعنوان: «هل ما يدور الآن في الساحة السلفية قضية شخصية أو صراع بين الحق والباطل».

- وقاس الأحمد في رسالته الأخيرة كلام العلامة ربيع في محمد بن هادي على الكلام الذي صدر من الشيخ الفوزان في الشيخ ربيع -حسب دعواه-، ويزعم أن كليهما باطل؛ لأن خلف الكلام أهل الشر والفتن الذين قاموا بالتحريش(١)، فهو في نظره مبني على باطل، وما بني على باطلٍ باطلٌ.

وهذه الأقيسة التي يشغب بها الفئة المصعفقة الباغية كلها فاسدة؛ للفروق الجلية بين حال المقيس عليه وحال المقيس.

ولا يشك من شم رائحة العلم في ضلال أصحاب هذه الطريقة لمخالفتها للكتاب والسنة، فإن المعيار عند أهل السنة والجماعة هو موافقة القول للكتاب والسنة أو مخالفته لهما، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فإذا حصل نزاع بين العلماء في شخص ما فالواجب على السلفيين أن ينظروا في أدلة المتنازِعَيْنِ أو المتنازِعِينَ؛ فمن أقام على قوله الدليل على إدانة ذلك الشخص بما جرحه به فقوله المقبول، ومن لم يُقِم عليه دليلًا فقوله مردود كائنًا من كان، ولا عبرة عندهم بمثل هذه الأقيسة، كما قال العلامة زيد بن محمد المدخلي -رحمه الله تعالى-: «الخلاف بين العلماء في تقديم الجرح على التعديل أو التعديل على الجرح عند تعارض الأقوال شهير، والذي يظهر لي رجحانه: أن الجرح المفسَّر يُقدَّم على التعديل، وما ذلك إلا لأن الجارح معه زيادة علم إذا كان الجارح بريئًا من التساهل في التعديل ومن المبالغة في الجرح. ويُقْبَل الجرح ولو من شخص واحد بشرطه سواء كان لشخص أو لجماعة أو جمعية.

---

(١) يتناسى الأحمد أنه حينما حذر أحد المشايخ من بعض القائمين بالتحريش بين الشيخ محمد بن هادي والشيخ عبيد الجابري نقل عن الشيخ محمد هادي أنه قال: «من زعم أن هناك من يحرش بيني وبين أحد من الناس فقد افترى عليّ الكذب، والله الموعد»، وهو يعني بذلك من زعم أنه يقبل كلام المحرشين وأنه يبني عليه أحكاماً، فقد غضب الشيخ محمد من هذا القول وعده افتراءً عليه؛ لأنه يتضمن أنه يقبل ممن يريد الإفساد، والآن يرمي الأحمد العلامة ربيعًا بذلك، ويزعم أن كلامه في الشيخ محمد مبني على تحريش المحرشين، والإصغاء إليهم، وقبول كلامهم.

والقول الذي يتعين أن يُؤْخَذ به هو: ما دل الدليل على صوابه وبِرَدِّ القول الآخر».(١)

وقال العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله ورعاه– في أثناء كلام له عن الاختلاف في جرح شخص وتعديله: «إن كانوا جَرحوا بدون حجة فلا قيمة لكلامهم، وإن كانوا جرحوا بحجة فيجب على من يخالفهم أن ينصاع ويرجع إلى الحق والصواب، وأن يأخذ بالحجة، فكثير من الناس يكذبون بالحق، ويرفضون الحق، وهذا أمر عظيم خطير جدًا. **فهذه هي القاعدة في الجرح والتعديل: يُطْلَب من هؤلاء الجرّاحين تفسيرُ جرحِهم والبينةُ عليه إذا لم يكن عندهم بينة، أما إذا كانوا يملكون بينة وعندهم أدلة؛ فهنا تكون الحجة ويتبع الحق، وانتهى كل شيء»**(٢).

وقال –حفظه الله– في بيان حال السلفيين تجاه الأقوال في الأشخاص: «**السلفيون لا يقبلون الأقوال إلا إذا قامت على الحجج والبراهين».**(٣)

وإذا قُدِّر أن العالِم أصاب في جرحه لشخص أو جماعة لدلالة الدليل على أحقية ذلك الجرح فلا يلزم منه أن يكون مصيبًا في كل قضية جرح فيها سخصًا أو أشخاصًا بعد ذلك، بل يجب النظر في أدلته في كل قضية بعينها، ولا يصح قياس هذه على تلك.

وقد شابه الأحمد ومن نحا نحو طريقه في الاحتجاج بالأقيسة أهل الرأي الذين يبنون أقوالهم على القياس ولا يلتفتون إلى الكتاب والسنة، واشتد إنكار أئمة السلف الذين أدركوا هذا الأمر على أهله، وسبب ذلك: أن هذا مسلك مخالف للتمسك بالكتاب والسنة حيث لم يبنوا مذهبهم على نصوص الكتاب والسنة، وإنما العمدة على الرأي والقياس لكونهم ظنوا أنه توجد مسائل كثيرة وفروع عظيمة لا يمكنهم إدخالها تحت النصوص.(٤)

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله–: «ومن ذلك –أعني محدثات العلوم– ما أحدثه فقهاء أهل الرأي من ضوابط وقواعد عقلية، ورد فروع الفقه إليها، وسواء أخالفت السنن أم وافقتها، طردًا لتلك

---

(١) الأجوبة الأثرية على المسائل المنهجية (ص ٩٧).

(٢) مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (١٤/٣٤٣).

(٣) عمدة الأبي في رد تأصيلات وضلالات علي الحلبي (ص ٤١٧).

(٤) انظر: الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٦-٩).

القواعد المقررة، وإن كان أصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنة، لكن بتأويلات يخالفهم غيرهم فيها، وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام على من أنكروه من فقهاء أهل الرأي بالحجاز والعراق، وبالغوا في ذمه وإنكاره».(١)

وقبل الشروع في الوقفة مع دعوى عبد الله الأحمد أن الشيخ ربيعًا تكلَّم في الشيخ محمد بن هادي بسبب تحريش أهل الشر والفتن سأذكر المراحل التي نُقِل فيها مواقف العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- تجاه طعن الشيخ محمد بن هادي فيمن بنبزهم بلقب الصعافقة، وكذب الطائفة المصعفقة عليه فيها على وجه الاختصار:

المرحلة الأولى: عدم إعلان موقف الشيخ ربيع من تحذير الشيخ محمد بن هادي ممن ينبزهم بلقب الصعافقة من حيث الموافقة أو المعارضة، فادعت الطائفة المصعفقة أن الشيخ ربيعًا يوافق الشيخ محمد بن هادي؛ فجاء تكذيب ذلك بنقل النفي الصريح عن الشيخ لهذه الموافقة المزعومة(٢).

المرحلة الثانية: تزكية الشيخ ربيع لمن جرحهم الشيخ محمد بن هادي وادعى أنهم صعافقة، فزعمت الطائفة المصعفِقة أن الشيخ ربيعًا لا يعلم حقيقة حالهم ولم يطلع على ما عند الشيخ محمد من أدلة، فجاء تكذيب هذه الدعوى بالنقل عن الشيخ ربيع أنه اطلع على الأدلة التي من أجلها جَرَح الشيخ محمد بن هادي من يسميهم بالصعافقة، ولم يجد عنده ما يبرر تحذيره من هؤلاء السلفيين.(٣)

المرحلة الثالثة: ردُّ الشيخ ربيع جرحَ الشيخ محمد صريحًا في تسجيل صوتي دافع فيه عن الشيخ عرفات المحمدي وإخوانه، فقال شيخ الطائفة المصعفِقة: سلَّمت أدلة جرحي للشيخ ربيع لكنه لم يطالعها، فجاء تكذيب ذلك أيضًا، حيث قال الأخ علي بن أحمد المدخلي صهر الشيخ ربيع -وفقه

---

(١) فضل علم السلف على الخلف (ص ٣٠).

(٢) نقل ذلك عنه الشيخ عبد الإله الرفاعي في تغريدة كتبها في حسابه في تويتر بتاريخ ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٣٩هـ.

(٣) نقل ذلك عنه الشيخ عبد الواحد قافز المغربي في رسالة نشرها عبر الواتس آب، وكذلك الشيخ عبد الإله الرفاعي في تغريدة كتبها في حسابه في تويتر بتاريخ ٢٠ ربيع الأول عام ١٤٣٩هـ.

الله-: «ذكر رزيق أن الشيخ محمد بن هادي ذكر أنه سلم الشيخ أوراقًا فيها أدلة وأن الشيخ لم يطالعها، فقال الشيخ ربيع -حفظه الله-: **بل قرأتها حرفًا حرفًا ولم أجد فيها شيئا**[(١)]».[(٢)]

ثم حانت بالأمس القريب المرحلة الرابعة، وهي: تصريح الشيخ ربيع بموقفه من الجارح -أعني: الشيخ محمد بن هادي المدخلي-، فزعموا أن سببه تحريش أهل الشر والفتن، ولا شك أن هذا أيضًا كذب؛ وإنما قال الشيخ ما قاله لأن الشيخ محمد بن هادي خالف طريقة السلف وقواعد أهل السنة في تحذيره ممن ينبزهم بلقب الصعافقة[(٣)]، ولم يقبل النصيحة، وأصر على ظلم إخوانه السلفيين والبغي عليهم، وفرَّق بين أصحاب المنهج الواحد والعقيدة الواحدة، وألقى بينهم العداوة والبغضاء بعد أن كانوا متآخين ومتحابين.

وذكر الشيخ ربيع أن الشيخ محمدًا تغير عما كان عليه سابقًا، ووجه ذلك -والله أعلم- أنه كان يبني ردوده على الأدلة الثابتة ويدعمها بالحجج المقنعة، ولم يكن يحذر إلا ممن يستحق ذلك بعد أداء واجب النصيحة له، وهذا يخالف تمامًا ما هو عليه الآن.

ويجب على كل مسلم أن تكون محبته للأشخاص لله جل وعلا، كما قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان»**[(٤)]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. فإذا كان الشخص على الجادة فإنه تجب محبته، فإذا تغير وانحرف عن الجادة فمحبتنا له تتغير تبعًا لهذا الانحراف عن الحق، ولذلك قال الإمام سفيان الثوري -رحمه الله-: «إذا أحب الرجلُ الرجلَ في الله ثم أحدث حدثًا في الإسلام فلم يبغضْهُ عليه فلم يحبه في الله»[(٥)].

---

(١) قد كتم رزيق القرشي هذا الكلام لمخالفته لهواه، وهو بذلك سلك طريق أهل الأهواء، كما قال الإمام وكيع -رحمه الله-: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»، أخرجه الدارقطني في سننه (رقم ٣٢)، والهروي في ذم الكلام (رقم ٣٣٨).

(٢) قاله في تغريدة نشرها في حسابه الشخصى على تويتر.

(٣) بينت ذلك بالتفصيل في الوقفة الثانية مع عبد الله الأحمد مستندًا إلى النقول الموثقة، وقارنت بين طريقة فالح الحربي وبين طريقة الشيخ محمد بن هادي في هذه القضية.

(٤) أخرجه أبو داود (رقم ٤٦٨٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٨٠).

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ٩٠٧٣).

فقول العلامة ربيع عن الشيخ محمد بن هادي: «كنتُ أحبه» ليس بسبب تحريش أهل الشر والفتن كما يدعي ذلك الأحمد، وإنما لأن الشيخ محمد بن هادي -هداه الهادي- سلك طريقة في تجريح السلفيين وإطلاق الأحكام عليهم تشبه طريقة فالح الحربي التي انتقدها الشيخ ربيع في ردوده عليه[1].

ويدل على ما ذكرته أن الشيخ ربيعًا علل كلامه في الشيخ محمد بن هادي بقوله: «لكنه الآن تغير، هؤلاء -يعني من ينبزهم الشيخ محمد بلقب الصعافقة- سلفيون، فيهم من هو دكتور ومن هو صاحب دعوة، كيف يقال عنهم صعافقة؟ الصعافقة تطلق على من لا علم عنده، فكيف يقال عن أمثال هؤلاء إنهم صعافقة، عرفات ظُلِم، عرفات مظلوم (كررها مرارا)»، ثم قال عن الشيخ محمد بن هادي: «**أنا طالبته بالأدلة ولم يأتِ بشيء، هؤلاء هل هم جهمية؟! هل هم قدرية؟! هل عندهم أخطاء في الأسماء والصفات؟!**»[2].

وقد سبق المصعفِقين إلى هذه المراحل أقوام، وجاء بعدها الطعن الصريح في الشيخ ربيع، ورد كلامه بدعوى أنه كبير السن ومصاب بالسكر وصار لا يدرك ما يقول، وقام هؤلاء بفتح المواقع للنيل والتنقص من الشيخ والحط من قدره والتتبع لزلاته بقصد تنفير الناس عنه، ولم يضره بل ازداد رفعة بذلك حفظه الله؛ لأنه صدع بالحق على طريقة أهل الحق.

وقول الأحمد في رسالته: «ولا يسعى للتحريش إلا من ضعفت حجته وقلة[3] ديانته» شهادة على نفسه؛ فإن الأحمد مشهور بالقيام بهذا الفعل، بل هو ممن تولى كبر هذه الفتنة الواقعة بين السلفيين، فإنه قام بإغارة صدر الشيخ محمد بن هادي المدخلي على مجموعة من طلابه بالمدينة حتى تصور أنهم أخس من الإخوان المسلمين[4] بعد أن كان يحسن الثناء عليهم[1].

---

(١) لمعرفة أوجه المشابهة بالتفصيل وموقف الشيخ ربيع من طريقة فالح ينظر وقفتي الثانية مع عبد الله الأحمد.

(٢) البيان المفصل لجلسة التونسيين مع العلامة ربيع المدخلي التي كانت يوم الاثنين ١٢ جمادى الأولى عام ١٤٣٩هـ.

(٣) هكذا، والصواب: وقَلَّتْ.

(٤) قال الشيخ محمد بن هادي في كلمة ألقاها يوم الاثنين ٥ جمادى الأولى عام ١٤٣٩هـ نشر تسجيلها بعنوان (وصايا للتايلنديين والكازخستانيين): «جماعة الإخوان المسلمين أفسدوا في العالم الإسلامي طولًا وعرضًا»، فإذا كانت هذه حال الإخوان المسلمين فما الذي يعتقده الشيخ محمد بن هادي في السلفيين الذين ينبزهم

وقول الأحمد: «بل والله لو حذر شيخنا الشيخ ربيع من الشيخ محمد أو حذر منا فوالله لن تزعزع ثقتنا ومحبتنا لوالدنا وشيخنا وربيعنا وسنسعى جاهدين لكشف حال الصعافقة وبيان حالهم لشيخنا ولعامة السلفيين» دال على تماديه بالباطل وثباته عليه ولو ظهر الحق جليًا، وهذه خصلة أهل الباطل من قديم؛ فقد ذكر الله عنهم أنه إذا تتلى عليهم الآيات البينات زادهم ذلك نفورًا عن الحق وثباتًا على ضلالهم، فإن الله قد أزاغ قلوبهم بعد أن تبين لهم الحق وأعرضوا عنه فلا يهتدون إليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥-٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣].

أختم هذه الوقفة بنقل عظيم عن الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بيان العلامات التي تميز أهل السنة عن أهل الأهواء والبدع، لعل أهل العدل والإنصاف يتأملونها ليتضح لهم حين النظر في أقوال الفريقَين مَنْ المتصفين بصفات أهل السنة ومَنْ المتصفين بصفات أهل البدع والأهواء.

نقل الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة(٢) كلامًا للإمام أبي المظفر السمعاني -رحمه الله- في كتابه الانتصار لأهل الحديث، قال في نهايته: «ومعلوم أن الاتباع هو الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صحت عنه، والخضوع لها، والتسليم لأمر رسول الله ﷺ، ووجدنا أهل الأهواء بمعزل عن ذلك، فهذه علامة ظاهرة ودليل واضح يشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلى أهل البدع والأهواء بأنهم ليسوا من أهلها»، ثم قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

قلت: ولهم علامات أخر؛

❁ منها: أن أهل السنة يتركون أقوال الناس لها، وأهل البدع يتركونها لأقوال الناس.

بلقب الصعافقة وهو يدعي أنهم أخس منهم؟!

(١) ينظر الوقفة الثالثة مع عبد الله الأحمد لتفصيل ذلك.

(٢) كما في مختصره (٤/١٥٩٢-١٦٠٣).

۞ ومنها: أن أهل السنة يعرضون أقوال الناس عليها؛ فما وافقها قبلوه، وما خالفها طرحوه، وأهل البدع يعرضونها على آراء الرجال؛ فما وافق آراءها منها قبلوه، وما خالفها تركوه وتأولوه.

۞ ومنها: أن أهل السنة يَدْعُون عند التنازع إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال وعقولها، وأهل البدع يَدْعُون عند التنازع إلى التحاكم إلى آراء الرجال ومعقولاتها.

۞ ومنها: أن أهل السنة إذا صحت لهم السنة عن رسول الله ﷺ لم يتوقفوا عن العمل بها واعتقاد موجبها على أن يوافقها موافق، بل يبادرون إلى العمل بها من غير نظر إلى من وافقها أو خالفها، وقد نص الشافعي على ذلك في كثير من كتبه، وعاب على من يقول: لا أعمل بالحديث حتى أعرف من قال به وذهب إليه، بل الواجب على من بلغته السنة الصحيحة أن يقبلها وأن يعاملها بما كان يعاملها به الصحابة حين يسمعونها من رسول الله ﷺ، فينزل نفسه منزلة من سمعها منه ﷺ، قال الشافعي: «وأجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يَدَعَها لقول أحد». وهذا من أعظم علامات أهل السنة: أنهم لا يتركونها إذا ثبتت عندهم لقول أحد من الناس كائنًا من كان.

۞ ومنها: أنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول ﷺ، فليس لهم لقب يُعْرَفُون به، ولا نسبة ينتسبون إليها إذا انتسب سواهم إلى المقالات المحدثة وأربابها، كما قال بعض أئمة أهل السنة وقد سئل عنها فقال: «السنة ما لا اسم له سوى السنة»، وأهل البدع ينتسبون إلى المقالة تارة -كالقدرية والمرجئة-، وإلى القائل تارة -كالهاشمية والنجارية والضراوية-، وإلى الفعل تارة -كالخوارج والروافض-، وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة.

۞ ومنها: أن أهل السنة إنما ينصرون الحديث الصحيح والآثار السلفية، وأهل البدع ينصرون مقالاتهم ومذاهبهم.

۞ ومنها: أن أهل السنة إذا ذكروا السنة وجردوا الدعوة إليها نفرت من ذلك قلوب أهل البدع، فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٦]، وأهل البدع إذا ذكرت لهم شيوخهم ومقالاتهم استبشروا بها، فهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ

﴿ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

منها: أن أهل السنة يَعْرِفون الحق ويرحمون الخلق، فلهم نصيب وافر من العلم والرحمة، وربهم تعالى وسع كل شيء رحمةً وعلمًا، وأهل البدع يكذِّبون بالحق ويكفِّرون الخلق، فلا علم عندهم ولا رحمة، وإذا قامت عليهم حجة أهل السنة عدلوا إلى حبسهم وعقوبتهم إذا أمكنهم وراثة عن فرعون، فإنه لما قامت عليه حجة موسى ولم يمكنه عنها جواب قال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

۞ ومنها: أن أهل السنة إنما يوالون ويعادون على سنة نبيهم ﷺ، وأهل البدع يوالون ويعادون على أقوال ابتدعوها.

۞ ومنها: أن أهل السنة لم يؤصِّلوا أصولًا حكَّموها، وحاكموا خصومهم إليها، وحَكَموا على من خالفها بالفسق والتكفير، بل عندهم الأصول: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه الصحابة.

۞ ومنها: أن أهل السنة إذا قيل لهم: «قال الله...»، و«قال رسوله ﷺ...» وقفت قلوبهم عند ذلك ولم تعده إلى أحد سواه، ولم تلتفت إلى ماذا قال فلان وفلان، وأهل البدع بخلاف ذلك.

۞ ومنها: أن أهل البدع يأخذون من السنة ما وافق أهواءهم -صحيحا كان أو ضعيفا- ويتركون ما لم يوافق أهواءهم من الأحاديث الصحيحة، فإذا عجزوا عن رده بغوه عوجًا بالتأويلات المستنكرة التي هي تحريف له عن مواضعه، وأهل السنة ليس لهم هوى في غيرها».(١)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه:

ناصر المظلوم

يوم الجمعة ١٦ جمادى الأولى عام ١٤٣٩هـ

---

(١) الصواعق المرسلة كما في مختصره (١٦٠٣/٤-١٦٠٩).